

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله ، والصَّلَاةُ والسَّلَامُ على رَسولِ الله ، وعلى آلِهِ ، وصَحْبِهِ ، وَمَنْ والاه ، وَبَعْدُ :
فهذا ضَبْطُ لَقْصِيدَةٍ مِنْ جَمِيلِ ما نَظَمَهُ الشَّيْخُ العَلَّامَةُ حَافِظُ بْنُ أَحْمَدَ الحَكَمِيُّ (ت ١٣٧٧)
رحمَهُ اللهُ تَعَالَى ، وهي القَصِيدَةُ المَعْرُوفَةُ بِـ (هَائِيَّةِ الحَكَمِيِّ) في الزُّهْدِ والتَّوْبِ والتَّوْبِ والتَّوْبِ ،
ضَبَطْتُهَا بَعْدَ المَقَابِلَةِ بَيْنَ مَجْمُوعَةٍ مِنْ نُسخِهَا المَنْشُورَةِ على الشَّبَكَةِ ، مَقْرُوءَةً وَمَسْمُوعَةً ، فإلى
المَقْصُودِ :



قال الشَّيْخُ رحمَهُ اللهُ تَعَالَى :

مالي وللدُّنيا وَلَيْسْتُ بِبُغْيَتِي ^(١)	وَلَا مُنْتَهَى قَصْدِي وَلَسْتُ أَنَا لَهَا
وَلَسْتُ بِمَيَّالٍ إِلَيْهَا وَلَا إِلَى	رِئَاسَتِهَا نَتْنَا وَقُبْحًا لِحَالِهَا ^(٢)
هِيَ الدَّارُ دَارُ الْهَمِّ وَالْغَمِّ وَالْعَنَا	سَرِيعٌ تَقْضِيهَا قَرِيبُ زَوَالِهَا
مِياسِيرُهَا عُسْرٌ وَحُزْنٌ سُرُورُهَا	وَأَرْبَاحُهَا خُسْرٌ وَنَقْصٌ كَمَالِهَا
إِذَا أَضْحَكَتْ أَبْكَتْ وَإِنْ رَامَ وَصَلَهَا	غَبِيٌّ فَيَا سِرْعَ انْقِطَاعٍ وَصَالِهَا

(١) أَوَّلُ البَيْتِ دَخَلَهُ زِحَافُ (الخرم) ، وهو : حَذَفُ أَوَّلِ الوتْدِ المَجْمُوعِ مِنْ تَفْعِيلَةٍ (فَعُولُنْ) ، وهو قَلِيلٌ في الشَّعْرِ ،
وفيه ثَقُلٌ ، وَمِنْ شَوَاهِدِهِ قولُهُ في افْتِتَاحِيَّةِ الحِمَاسَةِ الصُّغْرَى المَعْرُوفَةِ بِـ (الوَحْشِيَّاتِ) :

نَجَاكَ جَدُّ يَفْلُقُ الصَّخْرَ بَعْدَمَا أَظَلَّتْكَ خَيْلُ الحَارِثِ بْنِ شَرِيكَ

وفي بَعْضِ النُّسخِ زِيَادَةُ واوِ أَوَّلِ البَيْتِ تَخْلُصًا مِنْ هَذَا الزَّحَافِ ، وبِهِ أَخَذْتُ فِي التَّسْجِيلِ ، تَجَنُّبًا لِلثَّقَلِ .

(٢) وفي بَعْضِ النُّسخِ : « فَتَنَّا وَقُبْحًا » ، والأَكْثَرُ ما أَثْبَتَهُ ، وَلَعَلَّهُ الأَنْسَبُ .

فَأَسْأَلُ رَبِّي أَنْ يَحُولَ بِحَوْلِهِ وَقُوَّتِهِ بَيْنِي وَبَيْنَ اغْتِيَالِهَا
فِيَا طَالِبَ الدُّنْيَا الدَّنِيَّةَ جَاهِدًا ^(٣) أَلَا اطْلُبْ سِوَاهَا إِنَّهَا لَا وَفَالَهَا
فَكَمْ قَدْ رَأَيْنَا مِنْ حَرِيصٍ وَمُشْفِقٍ عَلَيْهَا فَلَمْ يَظْفَرْ بِهَا أَنْ يَنَالَهَا
لَقَدْ جَاءَ فِي آيِ الْحَدِيدِ وَيُونُسَ وَفِي الْكَهْفِ إِضَاحٌ بِضَرْبِ مِثَالِهَا
وَفِي آلِ عِمْرَانَ ^(٤) وَسُورَةِ فَاطِرٍ وَفِي غَافِرٍ قَدْ جَاءَ تَبْيَانُ حَالِهَا
وَفِي سُورَةِ الْأَحْقَافِ أَعْظَمُ وَاعِظٍ وَكَمْ مِنْ حَدِيثٍ مُوجِبٍ لِاعْتِزَالِهَا
لَقَدْ نَظَرُوا ^(٥) قَوْمٌ بَعَيْنٍ بِصِيرَةٍ إِلَيْهَا فَلَمْ تَغْرُزْهُمْ بِاخْتِيَالِهَا
أُولَئِكَ أَهْلُ اللَّهِ حَقًّا وَحِزْبُهُ لَهُمْ جَنَّةُ الْفِرْدَوْسِ إِرْثًا وَيَا لَهَا
وَمَالَ إِلَيْهَا آخِرُونَ لَجْهَلِهِمْ فَلَمَّا اطْمَأَنَّنُوا أَرَشَقَتْهُمْ نِبَالُهَا
أُولَئِكَ قَوْمٌ آثَرُوهَا فَأَعْقَبُوا بِهَا الْخِزْيَ فِي الْأُخْرَى وَذَاقُوا وَبَالَهَا
فَقُلْ لِلَّذِينَ اسْتَعَذَبُوا رُؤَيْدَكُمْ سَيَنْقَلِبُ السَّمَ ^(٦) النَّقِيعَ زُلْالُهَا
لِيَلْهَوْا وَيَغْتَرُّوا بِهَا مَا بَدَا لَهُمْ مَتَى تَبْلُغُ ^(٧) الْخُلُقُومَ تُصْرَمُ حِبَالُهَا

(٣) وفي بعض النسخ: « الدَّنِيَّة » بالهمز ، والأكثر ما أثبتته . وهو الأنسب لكلمة الدنيا .

(٤) وفي بعض النسخ: « آل عمران » ، بفتح النون ؛ لأنَّ الكلمة ممنوعة من الصرف ، والأولى ما أثبتته لسلامته من زحاف الكف ، وهو مُستقْبَحٌ في الطويل ، وارتكاب الضرورة بصرف الكلمة أخف منه .

(٥) هذا على لغة: « أَكَلُونِي الْبَرَاغِيثُ » ، واللُّغَةُ المعروفةُ إفراؤُ الفعلِ ، ولو أثَّتَ الفعلَ فقال: « لَقَدْ نَظَرْتُ قَوْمٌ » لصَحَّ كذلك ، ووافق المشهور .

(٦) « السَّم » : القاتِلُ المعروف ، ذَكَرَ فِي (القاموس) فِي سِينِهِ التَّثْلِيثَ ، وَذَكَرَ شَارْحُهُ الرَّبِيدِيُّ عَنْ شَيْخِهِ أَنَّ الْأَفْصَحَ فِيهِ الضَّمُّ ، ثُمَّ قَالَ : « وَلَمْ أَرْ مَنْ تَعَرَّضَ لِكَسْرِ ... وَكَأَنَّهَا - أَي : لُغَةُ الْكَسْرِ - عَامِيَّةٌ » اهـ

(٧) وفي بعض النسخ: « مَتَى تَبْلُغُ » ، بِالرَّفْعِ ، وَهُوَ خَطَأٌ ، وَالصَّوَابُ الْكَسْرُ تَخْلُصًا مِنَ التَّقَاءِ السَّاكِنِينَ ، لِأَنَّ (مَتَى) هُنَا شَرْطِيَّةٌ وَلَيْسَتْ اسْتِفْهَامِيَّةً ، فَالْفِعْلُ بِجَزُومٍ ، وَالْكَسْرُ دَلِيلُ الْجَزْمِ .

وَيَوْمَ تُوفَى كُلُّ نَفْسٍ بِكَسْبِهَا
وَتَأْخُذُ إِمَّا بِالْيَمِينِ كِتَابَهَا
وَيَبْدُو لَدَيْهَا مَا أَسْرَتْ وَأَعْلَنْتَ
بِأَيْدِي الْكِرَامِ الْكَاتِبِينَ مُسَطَّرٌ
هُنَالِكَ تَدْرِي رِبْحَهَا وَخَسَارَهَا
فَإِنْ تَكُ مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ وَالتُّقَى
تَفُوزُ بِجَنَّاتِ النَّعِيمِ وَحُورِهَا
وَتُرْزَقُ مِمَّا تَشْتَهِي مِنْ نَعِيمِهَا
وَإِنَّ لَهُمْ يَوْمَ الْمَزِيدِ لَمَوْعِدًا
وُجُوهٌ إِلَى وَجْهِهِ الْإِلَهِ نَوَاطِرُ^(٨)
تَجَلَّى لَهَا الرَّبُّ الرَّحِيمُ مُسَلِّمًا
بِمَقْعَدِ صِدْقٍ حَبَّذَا الْجَارُ رَبُّهُمْ
فَوَاكِهُهَا مِمَّا تَلَذُّ عِيُونُهُمْ
عَلَى سُرُرٍ مَوْضُوعَةٍ ثُمَّ فُرُشُهُمْ
بَطَائِنُهَا إِسْتَبْرَقَ كَيْفَ ظَنُّكُمْ؟!
وَإِنْ تَكُنِ الْآخِرَى فَوَيْلٌ وَحَسْرَةٌ
لَهُمْ تَحْتَهُمْ مِنْهَا مِهَادٌ وَفَوْقَهُمْ
طَعَامُهُمْ الْغَسْلِينَ فِيهَا وَإِنْ سَقُوا

(٨) « نَوَاطِرُ » : على زينة (فَوَاعِلُ) ، وهي ممنوعةٌ مِنَ الصَّرْفِ ، صُرِفَتْ هُنَا لِلْوَزَنِ .

(٩) وفي بعض النسخ : « وَمِنْ يَحْمُومٍ » ، وَالصَّوَابُ مَنْعُهَا مِنَ الصَّرْفِ لِلْوَزَنِ .

أَمَانِيَّهُمْ فِيهَا الْهَلَاكُ وَمَا لَهُمْ خُرُوجٌ وَلَا مَوْتُ كَمَا لَا فَنَالَهَا
مَحَلِّينَ قُلُوبَ النَّفْسِ لَيْسَ سِوَاهُمَا لَتَكْسِبَ أَوْ فَلَتَكْتَسِبَ ^(١٠) مَا بَدَالَهَا
فَطُوبَى لِنَفْسٍ جَوَّزَتْ وَتَخَفَّفَتْ فَتَنَجَوْ كَفَافًا لَا عَلَيْهَا وَلَا لَهَا



وكان الفراغ من ضبط هذه المنظومة والتعليق عليها عشية السبت ٢٠ / شوال / ١٤٣٥
والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد ، وعلى آله وصحبه أجمعين .

(أبو إبراهيم رضوان بن محمد آل إسماعيل)



(١٠) وفي بعض النسخ : « لَتَكْسِبَ » بإسكان الباء ، والفتح لازم للوزن ، والكلمة التي بعدها تصحفت في بعض النسخ إلى « أَوْ فَلَتَكْسِبَتْ » ! ، والصواب ما أثبتته ، ومعنى البيت مأخوذ من قوله تعالى : ﴿ هَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ﴾ ، أي : لها ما كَسَبَتْ مِنَ الْخَيْرِ ، وعليها ما اكْتَسَبَتْ مِنَ الشَّرِّ . والله تعالى أعلم .